

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

قسم علم الاجتماع

دروس موجهة لطلبة السنة أولى علوم اجتماعية

مقياس مدارس ومناهج

السنة الجامعية 2023-2024

المدارس المنهجية الكبرى:

المدرسة الوضعية positivism:

المدرسة الوضعية:

أساسها الفكر الوضعي القائم على القيم والفلسفة النابعة من واقع الحياة والمعاش، والمرتکز على ما هو طبيعي محسوس عيني وجودي لا على ما هو غيبي ورائي ومثالي، وبذلك فإن المدرسة الوضعية نتاج فكر نابع من قيم وفلسفة واقعية. فالوضعية تسعى إلى وصف وتحليل الظواهر في إطار وجودها كأمر واقع دون محاولة تغيير هذا الواقع. لقد أُطلقت العديد من التسميات على المذهب الوضعي، مثل الاتجاه الطبيعي، الاتجاه الامبريقي والاتجاه السلوكي، فضلاً على إطلاق كلمة "العلم" ذاتها على هذا المذهب، وعندما يُنسب إليه لفظ المذهب فإنّ المقصود بذلك اعتباره بمثابة الابستمولوجيا الفلسفية التي تحظى بالنفوذ الفكري في نطاق العلوم الاجتماعية وبدرجات متفاوتة.

ترجع بداية المدرسة الوضعية إلى "أوجست كونت" في القرن التاسع عشر، واستمدت قواعدها وتصوراتها النظرية المتعلقة بالموضوع والمنهج من البيولوجيا، فعلى مستوى الموضوع اعتمدت المدرسة الوضعية نموذج التطور البيولوجي، متخذة منه إطاراً نظرياً في دراسة التطور المجتمعي، وسعت إثر ذلك إلى الكشف عن قوانين التطور بأسره، وعلى مستوى المنهج وبالرغم من أن أنصار المدرسة الوضعية أقرّوا بأهمية التجربة، إلا أنهم عجزوا عن ابتكار نموذج تجريبي يمكن تطبيقه على الوقائع المجتمعية، ومقابل ذلك كانت المقارنة بمثابة البديل المنهجي للتجربة، خاصة أن المقارنة حقق استخدامها نجاحاً بالغاً في تقدم العلوم البيولوجية.

أوجست كونت (1798 - 1857):

هو فيلسوف اجتماعي فرنسي، وعالم اجتماع، ويعتبره الكثيرون المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع، وهو مبدع كلمة سوسيولوجيا، جاءت أفكاره متفقة مع أستاذه "سان سيمون"، ولقد دعا كل منهما إلى أهمية وجود علم مستقل عن الفيزياء الطبيعية، يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية والعمل على اكتشاف القوانين الاجتماعية، التي يمكن استخدامها في دراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الواقعية (ولكن بعد

هذه فترة انفصل كونت عن أستاذه، وبدأ يهاجم كل منهما الآخر) ، ويعتبر كونت استقرايا من خلال دعوته إلى ملاحظة الظواهر واكتشاف القوانين، ورفضه الأنساق الميتافيزيقية للفلاسفة.

من أهم مؤلفاته:

○ أسس الفلسفة الوضعية **Course of positive philosophy**: في ست مجلدات كاملة نشرت في الفترة من 1830 - 1842.

○ مذهب السياسة الوضعية **System of positive politics**: في أربع مجلدات وركز على دراسة علم الاجتماع النظري، وحل مشكلات العصر وإصلاحه، ظهر في الفترة من (1851 - 1854).

○ سعى كونت لتلخيص أفكاره الوضعية، وظهر ذلك في مؤلفين آخرين وهما (نظرة على الوضعية)، والثاني (موجز الوضعية وذلك عام 1855).

وقد كتب كونت يقول "وأعني بالفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته باعتبار أن هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيمائية والفسولوجية من حيث كونها موضعا للقوانين الطبيعية الثابتة.

الأسس المنهجية التي تقوم عليها الدراسات الاجتماعية:

يعد القرن التاسع عشر قرن التأسيس العلمي للدراسات الاجتماعية، حيث أسس كونت المدرسة الوضعية التي كانت تدعو إلى ضرورة دراسة المجتمع باستخدام نفس الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية، وتغطي كافة المنظورات التي تتبنى الدعاوى التالية:

1. أن الحقيقة تنحصر في كل ما هو متاح أمام إدراك الحواس.
2. أن العلوم الطبيعية والاجتماعية تشترك في أساس منطقي ومنهجي واحد.
3. أن ثمة فرقا جوهريا بين الواقع والقيمة، فالعلم يتعامل مع الواقع (المحسوس)، بينما تعكس القيمة نظاما للظواهر يتميز باختلافه التام وخروجه عن نطاق العلم.

وتعترف الوضعية بشكلين اثنين فقط من أشكال المعرفة، باعتبارهما يحظيان بالشرعية والنفوذ الفكري، وهما:

- **الشكل الامبريقي:** وتمثله العلوم، والذي نسبت له الأهمية الكبرى، استلهم الشكل الامبريقي مبادئه من التراث الفلسفي الذي مؤداه أن كل أفكارنا تنبثق من الخبرة - **Experience** - ومصدرها الخبرة الحسية، وأي فكرة لا تكون مستقاة من تلك الخبرة ليست بالفكرة الجديرة بالاهتمام.
- **والشكل المنطقي:** ويعكسه المنطق وتشاركه الرياضيات في ذلك.

وتتلخص الأسس المنهجية التي تقوم عليها الدراسات الاجتماعية عند "إميل دوركايم"¹ كأحد رواد المدرسة الوضعية في المسلمات الآتية:

- إن هناك وحدة في الطبيعة.
- إن الظواهر الاجتماعية جزء من العالم الموضوعي أو هي واقعية
- إن هذه الظواهر تخضع لقوانين ومبادئ خاصة هي قوانين طبيعية ومن ثم فهي تخضع للبحث العلمي الذي يجب بدوره أن يسترشد بمجموعة قواعد متعددة.

وهي مجموعة الأسس التي تقوم عليها المدرسة الوضعية، من اعتبار الإحساس وحده مصدرا للمعرفة الاجتماعية، بالإضافة إلى اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية، وإخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب، ويعتبر دوركايم الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء خارجة عن ذاتنا وهو يقول: "إن الظواهر الاجتماعية "أشياء" ويجب أن تدرس على أنها أشياء".

ولقد كان من أخطر نتائج الأخذ بالنموذج الطبيعي، أنه تم توحيد الظاهرة الإنسانية والاجتماعية بالطبيعة فسادت "واحدية العلوم"، التي سعى دعائها إلى فصل النشاطات الإنسانية عن كل المعايير الأخلاقية، حتى لم يعد هناك فرق بين الإنسان والطبيعة/المادة، بل أصبح جزءا منها ويخضع لقوانينها وبذلك يخضع لسماتها ويقبل بالقياس الكمي الدقيق والقابلية للتقنين، وكان من نتائج ذلك، اختزال الظواهر الإنسانية في جوانبها الحسية والفيزيائية، حتى لم يعد هناك فرق بين الظواهر الإنسانية والطبيعية.

¹ . **Emile Durkheim** إميل دوركايم (1858 . 1917): فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، تتلمذ على أيدي أوجست كونت، وسان سيمون، كرس اهتمامه في علم الاجتماع بدراسة التربية والدين والقانون، أسس عام 1898 حولية علم الاجتماع L'année Sociologique، من أهم مؤلفاته: تقسيم العمل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، الانتحار، الفرد والحياة الجمعية.

ولقد رفض كثير من العلماء الغربيين فكرة "واحدية العلوم"، وأصرّوا على التمييز بين الظواهر الطبيعية والإنسانية موضوعاً ومنهجاً، أمثال "ديثلي" Wilhem, Dilthey وغيره من أنصار "الهرمينوطيقا" الذين ناهضوا النزعة الوضعية.

المنهج الوضعي في فهم المجتمع:

إذا كانت المعرفة الوضعية تؤمن باستحالة الوصول إلى الحقائق المطلقة، وتؤكد على مبدأ النسبية، فهي لذلك تولي عناية كبيرة لاكتشاف القوانين، ومن ثم الوصول إلى المعرفة الوضعية، وهذه الأخيرة لن تتحقق إلا عن طريق المنهج الوضعي الذي تحدده أربعة إجراءات منهجية أساسية للبحث هي:

1. **الملاحظة:** "وتقتصر على استخدام الحواس الفيزيائية".

2. **التجربة:** وهي التجربة الاجتماعية التي تتم من خلال مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في شيء جزئي واحد.

3. **المنهج المقارن:** وتتم المقارنة أفقياً وعمودياً، وهي تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للدراسات الاجتماعية؛ حيث يمكن عقد مقارنات بين المجتمعات الحيوانية والإنسانية، أو بين المجتمعات التي تعيش زمناً بعينه، أو بين الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.

4. **المنهج التاريخي:** وهو أهم الإجراءات جميعها، حتى أن كونت يسميه المنهج السامي؛ وينحصر في تقصي القوانين العامة للتغير المستمر في الفكر الإنساني، وليس الاقتصار على مجرد سرد الأحداث فقط.

وهذا ما ظهر بوضوح، في معالجاته السوسيولوجية المتميزة مثل معالجته لقانون المراحل الثلاث Law of Three Stages، ومحاولته لوضع نظرية عن التقدم الطبيعي Natural progress للمجتمع الإنساني تلك الفكرة التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر والممثلة في فكرة النشوء والتطور.

قانون الحالات الثلاث Law of Three Stages :

لقد استطاع كونت أن يضع قانون الحالات الثلاث والتي يرى أنه توصل لها من خلال تعمقه في تاريخ الفكر البشري وتفحصه وتحليله، وكذا الاهتمام بواقع حاضره هو ما أتاح له اكتشاف هذا القانون، وينص هذا القانون، على أن كل معارفنا بمختلف مجالاتها وعلى اختلافها وتنوعها ودون استثناء قد مرت بثلاثة مراحل نظرية مختلفة هي:

1) فالحالة الأولى يسميها كونت الحالة اللاهوتية أو التخيلية **The Theological stage**.

2) ويسمي الثانية الميتافيزيقية أو التجريدية **The Metaphysical stage**.

3) ويسمي الثالثة بالمرحلة العلمية، أو الوضعية **The positive stage**.

وهذه المراحل أعتبرها **مناهج** إلا أنه استقر على المرحلة الأخيرة واعتبرها **منهج علمي**، هذا المنهج الذي يساعد على التطور، وهو منهج نموذجي ويعتبر بالمقابل المنهج الميتافيزيقي مجرد نموذج عبور إلى العلمي، يرتب كونت الحالات على مراحلها إذ عرف الفكر البشري **أولا المنهج الغيبي** إذ كان الإنسان يرد العلل إلى قوى فوق طبيعية كثيرة تتدخل في تسيير العالم، فكانت الأشياء والحوادث مرتبطة بها ويتم البحث عنها خارجا وفق ذلك المنهج، **ثانيا** ومع مرور الزمن تغير المنهج الأول من القوى فوق طبيعية إلى القوى المجردة ينسب إليها حدوث الأشياء لأنها مرتبطة بمختلف موجودات العالم، **ثالثا** فقد هجر الإنسان المناهج والطرق السابقة في التفكير وصب جل اهتمامه في البحث واكتشاف القوانين التي تعمل على حدوث الظواهر والعلاقات القائمة بينها وتفسيرها ودراستها اعتمادا على الملاحظة وإعمالا لجهد العقل من خلال التجربة التي عرّفت الإنسان عن الطاقة التي يمتلكها والقوة التي بحوزته، وعرفته على وحدة قوانين الطبيعة.

أهم الانتقادات التي وجهت للمدرسة الوضعية:

تعرضت الوضعية كأسس منهجي للعديد من الانتقادات، تعود في غالبيتها إلى رفض التعامل مع الظواهر الإنسانية كأشياء مجردة، يرى معارضو الوضعية أن السلوك الإنساني غير قابل للخضوع لقوانين عامة ودقيقة، وأنه لا يمكن فهم العالم الاجتماعي إلا من خلال وجهة نظر الأفراد الذين يشكلون الجزء الأساسي من الظاهرة الاجتماعية، بل لا يمكن الحديث عن ظاهرة اجتماعية بدونهم، وعليه يرى هؤلاء أن فهم الظواهر الاجتماعية لا يمكن أن يتم إلا من خلال الباحث الذي يشارك الإنسان ظروفه وله نفس خلفيته المرجعية،

"يظهر القصور أو الضعف عند تطبيق المذهب الوضعي على ما يتعلّق بالحياة الاجتماعية الإنسانية، لذلك كان على المذهب الوضعي أن يتجاوز مشكلة التمييز بين ما هو إنساني وما هو مادي..... كما أنّ هذا التمييز يدّعي أنّ كلّ ما هو إنساني وروحي وعقلي أو ذهني، إنّما يمثل نظاما للظواهر يختلف عن نظام الظاهرة المادية، ولا يمكن أن يفهم بواسطة الطرق الملائمة لذلك النظام الآخر.

لقد لجأ بعض الوضعيين إلى رفض هذا التراث رفضاً قاطعاً بواسطة اختزال كل ما هو إنساني إلى مجموعة من المظاهر ذات الطبيعة المادية، وفي هذه الحالة تتحول الحياة الإنسانية إلى فرع من الكيمياء أو البيولوجيا أو إلى علم النفس السلوكي .

الوضعية المحدثة:

الوضعية المحدثة هي اتجاه نظري في علم الاجتماع، يعود أول استعمال لها كمصطلح بهذه التسمية إلى "تيكولا تيماشيف"، وقد جاء استخدام صفة "المحدثة" أو "الجديدة" لتوضيح مدى التشابه والاختلاف عن وضعية "أوغست كونت" والتي تعرف بالوضعية الكلاسيكية أو التقليدية، والملاحظ أن استعمال الوضعية المحدثة لم يحظ بنفس الانتشار الواسع الذي لقيته الوضعية الكلاسيكية، حتى أنه عند أي استعمال لكلمة الوضعية تتبادر إلى الذهن مباشرة وضعية "كونت" أساساً، ونظراً للانتشار الواسع لهذه الأخيرة على حساب الوضعية المحدثة، فقد ساد استعمال مصطلح "علم اجتماع الرياضي" أو الاتجاه الرياضي في علم الاجتماع كمرادف للوضعية المحدثة عوضاً عن ذلك.

تعود ركائز النزعة الوضعية المحدثة بعد انهيار المذهب التطوري إلى ما يتصوره الوضعيون الجدد بأنّ مناهج العلم الطبيعي مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعية، حيث تشكلت الوضعية المحدثة من خلال التأليف بين عناصر ومنطلقات نظرية تتمثل فيما يلي:

(1) **النزعة الكمية:** وهي التي تعتمد على منهج العد والقياس أساساً في دراستها، وتدعو إلى ضرورة تعميم هذا المنهج على مختلف مجالات العلم.

(2) **النزعة السلوكية:** وهي التي تستند على أفكار عالم النفس الروسي الشهير "إيفان بافلوف"، وتعتقد أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعياً، أي لا يمكن أن نطبق عليه المنهج العلمي الطبيعي.

(3) **الابستمولوجيا الوضعية وتستمد جذورها من الفلسفة البراغماتية الأمريكية (النفعية):** حيث يحصر نطاق المعرفة أساساً في الانطباعات الحسية، وما تؤدي إليه من نتائج، وذلك على اعتبار أن واقع الشيء، يتوقف بالدرجة الأولى على إمكانية حدوثه كلياً أو جزئياً، على شكل مجموعة من الانطباعات الحسية، والتي هي بمثابة خبرة يعبر عنها بمفهوم العلية، وحين نتمكن

من التوصل إلى عدد من الانتظامات في هذه الانطباعات الحسية، عندها فقد نستطيع التحدث عن القوانين.

إن الوضعية المحدثة تؤكد على أن معرفتنا عن العالم تأتي عن طريق العلوم التجريبية وحدها، وذلك بالاستناد إلى تلك المبادئ المتعلقة باستخدام الطرق الكمية والاستناد على مبدئين أساسيين، هما:

(1) **مبدأ التحقق:** والذي نتحرى أو نختبر بواسطته صدق أو كذب الفرضيات عن طريق عدد محدد من الأحكام والملاحظات المدعمة بالأرقام، والتي يمكن الحصول عليها (الأرقام)، بالتجربة الحسية.

(2) **مبدأ الإجرائية:** والذي يعني أن كل المعرفة ترجع إلى مجموعة من الإجراءات (العمليات) التي يقوم بها الإنسان خلال نشاطه، فلا يمكن معرفة أهمية ومعنى أي مفهوم ما لم نضع إجراءات نتمكن بواسطتها من قياس الظواهر التي يعبر عنها ذلك المفهوم.

أوجه الشبه والاختلاف بين الوضعية الكلاسيكية والمحدثة:

يميل الوضعيون المحدثون إلى الأخذ بجل منطلقات الوضعية الأصلية عند كونت في فهم الواقع، والاهتمام بالاتجاه الوضعي بوجه عام والذي في أساسه يركز على تأكيد مقولة أن العلم هو وحده الذي يملك الحقيقة " أن الحقيقة لا نصل إليها إلا بالعلم وبالعلم وحده"، وذلك بالاعتماد على منهج وضعي في فهم المجتمع (وهي الملاحظة، التجربة، المقارنة، والاستدلال التاريخي)، إلا أنهم يختلفون معها في كونهم استبدلوا المنهج التاريخي عند كونت بالمناهج الإحصائية والرياضية، كما اختلفت المماثلات العضوية التي قدمها كونت بما في ذلك ما أطلق عليه بالفيزياء الاجتماعية ليحل محلها اعتمادا متزايدا على المناهج الرياضية المستخدمة في علم الفيزياء الحديث.

بعض رواد الوضعية المُحدثة:

• **جورج لندبرغ Lunndberg (1895 - 1966):** عالم اجتماع ومن أبرز ممثلي الاتجاه الوضعي الحديث الذي يهدف إلى تحديد الإجراءات المنهجية في ضوء الاتفاق والاقتناع بتحديد المفاهيم من خلال البحث عن الدلائل التجريبية أو الإحصائية التي تمثل الظواهر الاجتماعية، وتصورها في ضوء مجموعة من الإجراءات المحددة ويرى **جورج لندبرج** بأن كل العلوم الاجتماعية أو غير الاجتماعية هي

بالضرورة أداة أو وسيلة تكيّفيّة، فكلّ بحث يبدأ عادة بعدم التوازن الذي يستشعره الكائن العضوي وهذا ما يتّفق تمامًا مع النزعة السلوكيّة التي تتجنّب الإشارة إلى أيّة وقائع أو حقائق عقليّة، لذلك تحاول كل ضروب التكيّف في الحياة الإنسانيّة الاقتراب من موقف التوازن الذي يمثّل الحالة الطبيعيّة للأمور، وهذا ما يتّفق مع النظريّة السائدة في العلوم الطبيعيّة المعاصرة.

• **أغبورن Ogburn** م: عالم اجتماع أمريكي، كان إحصائيًا ومربيًا، وقد لعب دورًا محوريًا في وضع حجر الأساس للاتّجاهات الاجتماعيّة الحديثة لقد سعى أغبورن من خلال دراساته إلى الحصول على معاملات ارتباط بين المظاهر المختلفة للظواهر، مؤكّدًا في ذلك على الموضوعات التكنولوجيّة والاقتصاديّة، وكان مؤلّفه الشهير " الآثار الاجتماعيّة للطيران 1936م"، قد جعله قريبًا من الجناح الرياضي للوضعيّة المُحدّثة.

• **فرانسيس ستيفارت تشابين S. Chapin**: أستاذ علم الاجتماع، لعب دورًا هامًا في إنشاء علم الاجتماع الكميّ الإحصائي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ما بين 1920 م و 1940 م، يعد من بين الوضعيين المُحدّثين المعتدلين، كونه استعان بالاتّجاه التجريبي الذي يتميّز بدقّة المنهج التجريبي، والفكرة الأساسيّة التي يركّز عليها هذا المنهج كما ورد في مؤلّفه " التصميمات التجريبيّة في البحوث السوسيولوجيّة"، تدور حول منطق التجربة المعملية.

وعومًا فإنّ الوضعيين المُحدّثين يميلون إلى الاهتمام بالاتّجاه الوضعي الذي يسعى إلى تأكيد أنّ العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، كما يتّفقون مع كونت في اعتماد الملاحظة والاستدلال عند إجراء التحليل السوسيولوجي. كما توحد الوضعية المُحدّثة إلى درجة كبيرة بين الأساليب العلميّة والتكميم والقياس.

المدرسة الماركسية:

الماركسية تيار سياسي وفكري ومنهج، ينسب لمدرسة أفكار "ك.ماركس" وبدرجة أقل إلى "ف.انجلز"، وترتكز الماركسية سياسيًا، على تحليل التاريخ والمشاركة في الحركة الواقعية لصراع الطبقات، من أجل الإحاطة بالنظام الرأسمالي، وتتبنى مناهج التحليل الماركسي على دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. تحلل الماركسية المجتمع عبر ملاحظة الوضعية المادية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، لكن هذه الوضعية تتنوع بحسب الزمان والمكان.

1 - من هو كارل ماركس:

كارل هنريك ماركس (1818 - 1883): كان فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري، لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية، واعتبر من أهم الاقتصاديين في التاريخ ومن أكثر الشخصيات تأثيرا في تاريخ البشرية، استحوذت حكومات اشتراكية ثورية تتبنى الفكر الماركسي على الحكم في العديد من البلدان في القرن العشرين، مما أدى لتكوين دول اشتراكية كالاتحاد السوفياتي سنة 1922، وجمهورية الصين الشعبية سنة 1949. كما تأثرت العديد من نقابات وأحزاب العمال عالميا بالفكر الماركسي. نشر العديد من الكتب أهمها بيان الحزب الشيوعي، ورأس المال.

2 - مصادر المدرسة الماركسية:

انبثقت الماركسية من مؤلفات كارل ماركس، التي ساعده "فريدريك انجلز" في بعضها، وعلى الرغم من أن اسم كارل ماركس قد اقترن لدى الكثيرين بتاريخ علم الاجتماع وتطوره، فإن أعماله نفسها ظلت محل جدل وخلاف وتباين قبول الناس لها بشكل واضح، ففي (المعسكر الشرق أيام الحرب الباردة) اعتبرت الماركسية فلسفة عظيمة الأهمية شديدة التأثير، في حين كان تأثيرها في الغرب (سابقا) أقل ظهورا وتقديرا حتى عدة عقود، ومن مصادر الفلسفة الماركسية نذكر:

أولا . الفلسفة الألمانية:

من أبرز رجالات الفلسفة الكلاسيكية الألمانية الفيلسوف "هيجل" (1770 - 1823)، والذي نظر إلى العالم الطبيعي والتاريخي والروحي بوصفه عملية، أي في حركة دائمة، وفي تغير دائم (عملية دياكتيكية). و"لوفيج فيورباخ" (1804 - 1872) لعبت فلسفته المادية دورا هاما في وضع ماركس وانجلز للرؤية المادية.

ثانيا . الاقتصاد السياسي الانجليزي:

النظريات الاقتصادية التي وضعها كل من "آدم سميث" و "ديفيد ريكاردو"، واللذان أوضحت نظريتهما أهمية الأساس الاقتصادي لنشاط الناس، كما أوضحا أن تطور المجتمع يركز على التفاعل الاقتصادي بين الناس.

ثالثا . الاشتراكية الطوباوية:

ومن أهم رموزها "سان سيمون"، و "فورييه"، و "روبرت أوين"، والذين ركزت أفكارهم على مطالبتهم بضرورة انتشار الملكية العامة (الجماعية) والعمل الجماعي، بما يسمح بالقضاء على بؤس الجماهير.

فعلى ضوء الانجازات النظرية لأبرز رجالات الفلسفة والاقتصاد السياسي، والاشتراكية الطوباوية، وضع ماركس وانجلز نظرية فلسفية جديدة كل الجدة تجمع لأول مرة في تاريخ العلم بين المادية الفلسفية والمنهج الديالكتيكي، وتعطي تفسيراً علمياً لحياة المجتمع البشري.

بدأ "كارل ماركس" بدراسة الأوضاع التي كانت سائدة في بريطانيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، معتبراً إياها نموذجاً عاماً للبلاد الصناعية الرأسمالية. ومن خلالها استخلص نموذجاً يفسر من خلاله تطور المجتمعات الإنسانية. واستند في دراسته على منهجية محددة تعرف بالمنهج الجدلي أو الديالكتيكي؛ هذه المنهجية التي استوحاها من الفلسفة "الهيكلية المثالية" التي تدرس الأشياء كحقائق في حركة دائمة غير منقطعة، تقوم أساساً على مبدأ النفي.

3 - الفلسفة الجدلية:

وتعني أن القانون الذي يحكم الكون هو قانون الحركة والتغير المستمرين، وذلك على عكس فلسفة الثبات التي تعني أن السكون والاستقرار هما القانونان اللذان يحكما الكون.

أسس الفلسفة الجدلية المادية:

- وحدة وصراع المتضادات (الأضداد): يرى ماركس أن كل شيء هو طبيعي، وأن كل ظاهرة تنهض على طرفين متعارضين، ومن المستحيل أن يضل هذان الطرفان في سلام، ولكن من المحتمل أن يتولد بينهما صراع، وهذا الصراع لا يقضي على وحدة الشيء أو الظاهرة، بل يؤدي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الآخر، فيحدث التحول؛ وهذا هو السبيل إلى التطور، وبالتطبيق على الواقع السياسي، نجد أن المجتمع الرأسمالي يضم في آن واحد طبقتي البرجوازية والبروليتارية، وكل طبقة منهما تقرض وجود الطبقة الأخرى؛ وعلى الرغم من التعارض القائم بينهما، فإنهما يؤلفان وحدة النظام الرأسمالي.

- الانتقال من الكم إلى الكيف: وهو القانون الذي يعكس التطور لا بوصفه مجرد تغير سطحي للأشياء، بل باعتباره تغيراً جذرياً يمس جوانبها الداخلية، بمعنى أنه يهتم بكيفية سير التطور، حيث يرى

ماركس أنه عندما تتراكم التغيرات الكمية وتتزايد (من ناحية المقدار)، فإن التغير الكيفي (من ناحية الصفات) لا يلبث أن يتم والعكس صحيح. فمثلا إذا اختفت الملكية الخاصة وهي الكيفية الأساسية للنظام الرأسمالي، وحلت محلها الملكية العامة (النظام الاشتراكي)، فإن نظاما جديدا يحل محل النظام الرأسمالي، والمتمثل في النظام الاشتراكي.

- نفي النفي: وهو القانون الذي ينص على أن التطور عملية صاعدة، أي ارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، ومن البسيط إلى المعقد، ويكشف هذا القانون عن الاتجاه العام للتطور في العالم المادي. فتاريخ المجتمع الإنساني يتألف من حلقات نفي أو سلب النظم الجديدة للقديمة؛ إذ أن كل نظام جديد يقضي على النظام السابق له، فمثلا نجد أن مجتمع الرق قد قضى على المجتمع البدائي.... إن مفهوم النفي لا يعني أن الجديد يقضي على القديم نهائيا، وإنما يحتفظ من القديم على أفضل ما فيه ويدمجه في الجديد ويرقيه إلى أعلى.

ويمكن أن نلخص مميزات المنهج الديالكتيكي الماركسي فيما يلي:

- ✓ النظر إلى الطبيعة بوصفها كلا موحدا ومتماسكا ترتبط فيه الموضوعات والظواهر ارتباطا عضويا فيما بينها.
- ✓ النظر إلى الطبيعة بوصفها في حالة حركة وتبدل مستمرين، وتجدد ونمو لا ينقطعان إذ ثمة دائما شيء ما يولد وينمو وآخر ينحل ويزول.
- ✓ النظر إلى سيروية النمو بوصفها انتقالا من التبدل الكمي الخفي إلى التبدل الجذري الكيفي، والنظر إلى التبدل الكيفي بوصفه تبديلا ضروريا يحصل بقفزات ويسير أبدا إلى الأمام من القديم إلى الجديد ومن البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى.
- ✓ النظر إلى الطبيعة وظواهرها من زاوية تناقضها الداخلي، أي النظر إلى جانبها السالب وجانبها الموجب، إلى ماضيها ومستقبلها، إلى ما يختفي فيها ويظهر، لأن مضمون النمو الداخلي هو صراع الأضداد ولأن كل شيء يخضع للظروف والزمان والمكان.

4 - المادية التاريخية:

ترتبط المادية التاريخية ارتباطا تاما بالإطار العام للمادية الجدلية، وتعتبر امتدادا طبيعيا وواقعا لقضايا الديالكتيك وفروعه. فإذا كانت المادية الجدلية تهتم بالوجود الموضوعي المستقل عن الوعي

ويتطور العالم والقوانين العامة التي تحكمه، فإن المادية التاريخية تعنى بالوجود الاجتماعي كواقع اجتماعي مستقل عن الوعي الاجتماعي للإنسان ويتطور المجتمع وقوانينه، وبهذا تعني المادية التاريخية تطبيق المادية الجدلية على المجتمع ويعرفها "غليزرمان" بأنها النظرية العامة العلمية التاريخية التي تم استخلاصها من دراسة التكوينات الاقتصادية والاجتماعية، وهي في نفس الوقت منهج لتحصيل المعرفة".

5 - أهم المفاهيم الماركسية:

- الأساس والبناء الفوقي: يعني الأساس مجموع علاقات الإنتاج التي تشكل البناء الاقتصادي للمجتمع، أما البناء الفوقي فيعني مجموع الأفكار والتنظيمات والنظم.
- قوى الإنتاج: هي مجموعة الوسائل التي تساعد على إنتاج السلع المادية، وتضم أدوات الإنتاج والأفراد.
- علاقات الإنتاج: وهي العلاقات التي تنشأ بين الناس من جراء عملية الإنتاج والتبادل وتوزيع السلع المادية، وخاصة فيما يتعلق بكيفية تملك وسائل الإنتاج، كالأراضي والمباني والآلات مثلاً.
- أسلوب الإنتاج: ومعناه الارتباط القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج.

أسلوب الإنتاج = قوى الإنتاج + علاقات الإنتاج

6 - بعض نقاط القوة في الماركسية:

- 1 - لفت ماركس الانتباه إلى الأوضاع المزروعة للفئات المحرومة في المجتمع الرأسمالي، وأوضح كيف أن مختلف عناصر البناء الاجتماعي تعمل على استمرار اللامساواة الاجتماعية على نطاق واسع.
- 2 - أوضح ماركس في نقده للرأسمالية أنها ليست نظاماً حتمياً ولا عصياً على الهدم، وفي هذا السياق رفض التصور السائد بأن الرأسمالية لها وجود مستقل وبذلك كشف زيف أسطورة قوة الرأسمالية.
- 3 - قبل ظهور ماركس كان علماء الاجتماع يوجهون جل اهتمامهم إلى محاولة فهم الوضع القائم وليس انشغالهم بتقديم تحليل نقدي مدفوع بالرغبة في تحسين الأوضاع الراهنة لأفراد المجتمع. ولم يهتموا إلا اهتماماً ضئيلاً بقضايا مثل القدرات والإمكانات البشرية والإبداع الإنساني.

4 - قدم ماركس بتبنيه للمنهج الجدلي - بديلا للنظريات السابقة التي أخفقت في التعرف على العلاقات الخفية بين مختلف عناصر العالم الاجتماعي وكيف تعمل هذه العلاقات على التأثير في هذا العالم، وقد أوضح كيف أن العلاقات الاجتماعية يمكن أن تكون لها نفس قوة الأبنية الاجتماعية.

5 - ابتكر ماركس عددا من المفاهيم الجديدة مثل اقتصاد السوق الحر، تقديس السلع، التشيؤ، الايديولوجيا، الاغتراب، التي أثرت على تصورات علماء الاجتماع الذين جاءوا بعده.

يمكن إرجاع بعض الاتجاهات والآراء المناهضة للماركسية إلى قصور في فهم كتابات ماركس نفسها، من ذلك مثلا أشهر نقد لماركس يركز على:

- نبوءته بوقوع الثورة التي لم تقع حتى الآن.
- مبالغته في التأكيد على البناء الاجتماعي، خاصة نوعيات البناء الموجودة في المجتمع الرأسمالي، وذلك على حساب اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية.
- الأهمية التي أولاها ماركس للطبقة و الصراعات الطبقيّة في تفسير التغيرات التاريخية الأساسية في المجتمع البشري جعلته يهمل علاقات اجتماعية أخرى على جانب كبير من الأهمية خاصة القومية والصراع بين الأمم.
- عدم كفاءة الماركسية في تفسير العلاقات الطبقيّة في أنماط المجتمعات المغايرة للنمط الرأسمالي.
- لم يعمق بناء المجتمعات الحديثة الهوية بين البرجوازية و البروليتاريا ولم تختلف منه الشرائح الوسطى من السكان كما أن الطبقة البروليتارية لم تحقق نموا في الوعي الاجتماعي بحيث تقوم بدورها التاريخي في الثورة على ما تصور ماركس.

ونشير في الأخير إلى أن الماركسية المحدثّة هو مصطلح يطلق على أولئك المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية كما جاءت عند ماركس كإطار نظري ومنهجي، ولكنهم ينتقدونها في بعض الجوانب. وتبدو محاولة عبد الباسط عبد المعطي في تقديم تعريف إجرائي للماركسية المحدثّة مهمة، حيث لخصها في النقاط التالية:

(1) أن الماركسية الجديدة تسلم ابتداء بمفهومات الماركسية ومنطقها المنهجي، والقوانين العامة التي توصلت إليها.

(2) أن الماركسية الجديدة تنطلق من الحقائق الجديدة التي يفرزها الواقع أو بعبارة أكثر دقة، تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي.

(3) أن الماركسيين الجدد يمكن أن يكونوا كل من التزم بالبندين الأولين وأتى بعد الرواد المؤسسين، وقدم إسهاما على طريق فهم الحقائق الجديدة، بشرط ألا يخرج عن الإطار العام المعرفي والإيديولوجي للنظرية.

المدرسة البنائية الوظيفية

حاولت النظرية البنائية الوظيفية تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال ما يمكن أن تقدمه من أفكار حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف؟ والنظر إلى المجتمع باعتباره نسق في التوازن، وهذا النسق هو بناء منظم ومكون من عدد من الأجزاء المترابطة، ولكل جزء (أو نظام) من هذه الأجزاء وظيفة يؤديها للحفاظ على بقاء النسق وتوازنه.

أولا - معنى الوظيفية:

يعتبر مصطلح الوظيفية من المصطلحات التي يكثر الجدل حولها في العلوم الاجتماعية، وهذا راجع إلى اختلافات استخدامه في الرياضة والبيولوجيا وفي العلوم الاجتماعية وحتى في الدارجة وبمعاني مختلفة. فالوظيفية تستخدم بمعنى: النشاط الاجتماعي، وفي كتابات أخرى كما تحدّث عنه ماكس فيبر تستخدم الوظيفية ككلمة مرادفة للمهنة أو العمل الذي يقوم به الفرد.

وبتساءل نيكولا تيماشيف: " ما هي الوظيفية"، ويجيب بأن هذا أمر تصعب الإجابة عليه، وهذا راجع إلى الاختلاف الكبير بين اصطلاحي " وظيفة" و "وظيفي" في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية كما تستخدم الوظيفية بمعنى رياضي، فهي تشير إلى مقدار أهمية متغير ما، تحدد بدورها مقدار أهمية متغير آخر، وهذا ما ظهر في أعمال سوروكين، وهناك معنى آخر لهذه الكلمة " تتصل اتصالا وثيقا بموقف علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إذ يستخدم للإشارة إلى الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل استمرار الكل، وهذا الكل قد يكون متمثلا في المجتمع والثقافة، فعلى الرغم من الاختلاف بين رادكليف براون ومالينوفسكي إلا أنهما متفقان على أن لب التحليل الوظيفي يمكن في دراسة الجانب الذي تلعبه الفقرات الثقافية والاجتماعية" في المجتمع.

وحين نستعرض أعمال الاتجاه البنائي الوظيفي نجد أنها وإن اختلفت في التفاصيل - تتفق على النظر إلى الوظيفة على أنها تعني " الأثر والنتيجة" وحينما يضاف مصطلح " البناء" فإن ذلك معناه أن البناءات تؤدي وظائف، ويعد مفهوم " الدور" في هذا الحال من المفاهيم المحورية سواء لفهم النتائج أو الآثار؛ أو لفهم مكونات البناء الاجتماعي. فالدور هو "الوظيفة بمعنى أن السلوك الذي يؤديه الجزء من أجل بناء الكل" وأنماط العلاقات من الأدوار الشخصية هي جوهر البناء الاجتماعي، وبالمثل أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية هي المفهوم الأشمل لبناء المجتمع ككل.

ومنه يمكن عرض جملة التحديدات المتعلقة بمفهوم الوظيفة الاجتماعية عند رواد مفكري النظرية البنائية الوظيفية كما يلي:

- 1 - دل قسم منها على العمل، وظهرت هذه الدلالة في كتابات ماكس فيبر.
- 2 - دل قسم منها على مفهوم الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها الفرد في مركزه الاجتماعي.
- 3 - ذات دلالة رياضية للإشارة إلى وجود علاقة بين عامل متغير واحد مع عدة عوامل متغيرة أخرى وذات تأثير على قيمها.
- 4 - ذات دلالة اجتماعية كما ظهرت عند كتابات كارل منهايم الذي لاحظ أن الحقيقة الاجتماعية ما هي إلا وظيفة الزمان والمكان التي تحدث فيه، واستعمال الديمغرافيين الذين يرجعون ارتفاع أو انخفاض معدل الولادات إلى طبيعة المكان الاقتصادية للفرد.
- 5 - ذات دلالة بيولوجية عضوية التي تشير إلى العملية العضوية التي تساهم في المحافظة على سلامة أفراد المجتمع وبقائهم، استعملها رادكليف براول.

ثانيا - ما هي البنيوية الوظيفية ؟

البنيوية الوظيفية هي رؤية سوسيولوجية ترمي إلى تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى، وبهذا المعنى فإن وجود البنى الاجتماعية يلزم وجود وظائف لها. هكذا فالبنية الاجتماعية لها وظيفة تؤديها، وكل شئ محكم السير في المجتمع دون انتظار للصراع، فالمجتمع عبارة عن لوحة فسيفسائية من الوظائف متسقة ومتوازنة، وللوظيفية ثلاثة أشكال.

1 . **الوظيفية الفردية:** وهي حاجات الفاعلين الاجتماعيين والبنى الاجتماعية التي تظهر لتلبية هذه الحاجات.

2 . **الوظيفية العلاقية:** وهنا يقع التركيز على آليات العلاقات الاجتماعية التي تساعد في التغلب على التوترات التي تمر بها العلاقات الاجتماعية، وهذا النوع نجده موضوع اهتمام لدى الانثربولوجيين أمثال راد كليف براون و مالينوفسكي . فالوظيفية العلاقية تعمل مثلا عبر شعيرة طقسية من الشعائر على التخفيف من التوترات في إطار العلاج النفسي.

3 . **الوظيفية الاجتماعية:** ويتم التركيز على البنى والمؤسسات الاجتماعية الكبرى وعلى علاقاتها ببعضها البعض وتأثيراتها الموجهة لسلوكات الأفراد والمجتمعات كالوظيفية التي تقوم بها مؤسسات الجامعة أو المستشفى أو الإذاعة أو التلفزيون أو الأسرة أو المسجد أو المدرسة... فالموضوع متعلق بالمجتمع لا بالأفراد.

ثالثا - البنائية الوظيفية؛ أصول الاتجاه، وأهم الرواد:

يعد الاتجاه البنائي الوظيفي قديم قدم النظرية في علم الاجتماع، حيث أن بعض المؤرخين يرجعون لأصوله إلى الإغريق وتضرب بجذورها في أعمال الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع، إذ تجسدت في أعمال معظم علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، ويرجع أصول المذهب الحديث إلى "منتسكيو" وقد يمتد جذوره إلى كونت، حيث أكد كونت على دراسة الظواهر الاجتماعية في حالة التلازم في الوجود والذي أسماه الاستاتيكة الاجتماعية، ويندرج تحت ذلك قوله " جميع النظم الاجتماعية، والمعتقدات، والأخلاقيات التي توجد في مجتمع معين، ترتبط ارتباطا متبادلا فيما بينها، ولذلك فإنه ينبغي إذا أردنا تفسير إحداها، أن نكتشف أولا ذلك القانون الذي يحدد كيفية ارتباط هذه الظاهرة بجميع الظواهر الأخرى".

كما ساهم هربرت سبنسر ببعض الملاحظات الجديدة بالنسبة للمفهوم الوظيفي في دراسة المجتمع حيث بين نماذج تطورية المجتمعات تشبه النماذج العضوية، موضحا درجات التباين في الأبنية المعقدة بحيث يمكن قياسها من خلال الأنماط المختلفة التي تظهر بها العناصر المكونة للبناء. فعندما يتكون البناء من عدد من العناصر المتشابهة أو المترابطة فإن كل عنصر منها يميل إلى الاكتفاء الذاتي ولكن عندما يتألف من عناصر غير متشابهة. أي حينما يكون البناء متمايزا من الناحية الداخلية - يكون هناك

درجة عالية من الاعتماد المتبادل بين الأجزاء؛ ومن ثمة كلما زادت درجة التمايز بين مكونات البناء زادت درجة تكامل البناء ككل.

إلا أن أغلب مناقشات الوظيفة الحديثة تعود إلى دوركايم، الذي تأثر مثل "هربرت سبينسر" بالاتجاهات العضوية حيث ميّز في كتابه عن "تقسيم العمل الاجتماعي بين وظيفة تقسيم العمل وسببه الفعال، فالوظيفية تتمثل في تكامل أو إعادة تكامل المجتمع، أما السبب فيرجع إلى تزايد "المسافة الأخلاقية" الناتجة عن الضغط السكاني، ويتلخص رأي دوركايم فيما يلي: "عندما يكون هناك ضغط سكاني متزايد وتفاعل اجتماعي متزايد أيضا. يحدث تصدع في ضوابط المجتمع البسيط وزيادة في المنافسة، مما يهدد النظام الاجتماعي، ولكنه يمكن التقليل من حدة هذه المنافسة، أو التحكم فيها عن طريق إدخال المهام المتخصصة التي تجعل الناس أكثر اعتمادا على بعضهم البعض، وأكثر قدرة على تقبل الالتزامات المتبادلة".

إلا أن دوركايم كغيره من الذين سبقوه تعرضوا لنقد شديد هذا لا ينفي مساهمتهم الفعالة في تقدم هذا الاتجاه ونجاحه. وكما سبق الذكر فإن الأصول العلمية الحديثة للاتجاه البنائي الوظيفي يرجع إلى ماليوفسكي إضافة إلى رادكليف براون حيث كان هدفهم هو دحض أفكار كلا المذهبين الانتشاري والتطوري اللذان سيطرا على التفكير الانثروبولوجي في القرن التاسع عشر، حيث اتفقا مع القضية القائلة بأن المجتمعات الإنسانية تنمو من أشكال بسيطة إلى أشكال أكثر تعقيدا.

أصول النظرية من الأنثروبولوجيا إلى البيولوجية إلى السوسيولوجية :

ظهر مصطلح الوظيفة في الثلاثينات من القرن العشرين عند علماء الانثروبولوجيا على الخصوص، أمثال رادكليف براون وماليوفسكي. وفي الأربعينات درّس هذان العالمان في جامعة شيكاغو مما أدى إلى انتشار مصطلح الانثروبولوجيا الوظيفية في الولايات المتحدة الأمريكية. وفيما بعد مثلت أعمال كل من تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون البنيوية الوظيفية في أعماق ما كتب حول النظرية التي تنظر إلى المجتمع باعتباره نظاما نسقيا يتمتع بالكثير من الانسجام بين مكوناته البنيوية .

أما النظرية البيولوجية فتعد أحد مرجعيات الوظيفة، ومنها يمكن القول انه إذا كانت العناصر المكونة للجسم الإنساني تكوّن وحدة بيولوجية متكاملة، أي لوحة فوسفائية متكاملة تتسم بالانسجام ، إلا أن الوظيفيين وكما هو الحال في النظرية الاجتماعية البيولوجية في ملاحظاتها لفروق بين الجسم البشري

والمجتمع لا يتجاهلون أيضا عنصر الصراعات في المجتمعات لكنهم ينظرون إليها بوصفها توترات بريئة. أي أنها عبارة عن تمهيدات إلى إقامة نظام اجتماعي أفضل. فهي في منظورهم ايجابية وليست هدامة للمجتمع.

إن البنيوية الوظيفية كنظرية سوسيولوجية ترى المجتمع عدد من التنظيمات المترتبة التي يساهم كل منها في الاستقرار الاجتماعي للمجتمع وتركز أكثر على التوازن الاجتماعي للمجتمع وليس على التغيير الاجتماعي. فالنسق الاجتماعي عبارة عن مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها ، وأي خلل في أحدها لابد وان يؤثر في باقي العناصر. وبدورهم يقول الوظيفيون أن النسق الاجتماعي يمكن أن يحافظ على الاستقرار طالما أن كل عنصر يقوم بوظيفة.

يعتبر الرواد الثلاثة كونت ودوركايم وسبنسر أهم الرواد الاجتماعيين الذين أثروا تأثيرا كبيرا على النظرية البنيوية الوظيفية، ومن أهم رواد هذا الاتجاه نذكر، مالفينوفسكي، راد كليف براون، روبرث ميرثون، تالكوت بارسونز، وبعض مساهمات ماكس فيبر.

مسلمات تحليل الظاهرة الاجتماعية من منطلق وظيفي:

على الرغم من التباينات بين روافد البنائية الوظيفية فإن هناك اتفاقا عاما حول المسلمات التي تنطلق منها أدوات تحليل الظاهرة الاجتماعية والتي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

1 - لعل المسلمة الأولى تتعلق بفكرة "النسق الاجتماعي" حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع هو نسق يتألف من مجموعة من الأجزاء المترابطة بنائيا ووظيفيا ولكن ما معنى الترابط الوظيفي؟ ويؤكد هذا الاتجاه على أن الترابط البنائي يتم من خلال عملية التبادل العضوي بين عناصر النسق وأجزائه ويتم ذلك على أساس تحديد الأدوار والأفعال التي تحتوي على التباين من حيث الأداء وطبيعته. ونظرا لوجود التباين يشكل بالضرورة الاعتماد المتبادل بين الأجزاء، غير المتشابهة في الأدوار ومن ثم يخلق نوعا متميزا من التضامن العضوي، أو الوظيفي القائم على المنفعة العامة للنسق الكلي، في إطار قواعد وقوانين منظمة للأفعال والأدوار وأي خروج عنها يؤدي إلى انحراف يهدد أسس بناء المجتمع وتوازنه.

2 - تتعلق هذه المسلمة بفكرة التكامل إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه فيه طبيعة متأصلة وليست مكتسبة فهناك ميل طبيعي وفطري للتكامل والتضامن والوحدة أي رفض الصراع. ويفسر هذا من وجهة نظرهم

"بأن الصراع إن وجد فهو ليس القاعدة بل هو الاستثناء إذ يمثل انحرافاً عن معايير النسق الاجتماعي بحكم طبيعته ومسار اتجاه تقدمه. هذه الصورة موجودة لدى مؤسسي علم الاجتماع سواء بصورة واضحة أو مستترة بدء من كونت وماكس فيبر...

3 - ترتبط هذه المسلمة بالدعوة إلى الاستقرار والثبات: أي أن أصحاب هذا الاتجاه لا يأخذون في اعتبارهم عملية التغيير الاجتماعي؛ وقامت دعوتهم على أساس أنه إذا كان التغيير أمراً حيوياً ومطلوباً في داخل الأنساق الاجتماعية، فإنه يجب أن يكون تغييراً من أجل الاستقرار والتوازن، فهو لا يحدث بفعل الصراع أو من أجله، وهم يحاولون إقناع الأفراد بأن النسق الاجتماعي المتوازن هو النسق المتقدم بينما ذلك الذي يقوم على فكرة التناقض والصراع هو نسق اجتماعي متخلف أو يهدم نفسه بنفسه، إذا فالتقدم يعني التوازن والاستقرار أما التخلف فيعني عملية الصراع. ومن هنا فهم يفسرون حاجة النسق المستمرة إلى المحافظة على البقاء والذي لن يتأتى إلا من خلال القضاء على ما هو معوق وظيفياً، والذي هو المضر والعديم القيمة بالنسبة للنسق ككل.

4 - أما المسلمة الأخيرة فترتبط بكيفية المحافظة على أسس التوازن الاجتماعي ودعمه وفي سبيل ذلك ظهرت مفهومات جديدة لمصطلحات تقليدية مثل : **التساند الوظيفي** أو **الاعتماد المتبادل** و**المستلزمات الوظيفية** وغيرها من المصطلحات المعقدة التي ترتبط بالبناء والوظيفة وتدور كلها حول محور وحيد ألا وهو محور القيم الأخلاقية.

أهم الأفكار التي تحدد ملامح هذا الفكر:

المحور الأول - الأهداف والغايات:

من الواضح أن قضية النظام الاجتماعي تمثل المحور الأساسي الذي تدور حوله النزعة الوظيفية في علم الاجتماع حتى أصبحت صحة المجتمع مرادفة " النظام " ومرضه " مرادفا للصراع " ذلك أن النسق الاجتماعي يؤدي دوره في ضوء معنى معين، وهدف محدد فالعمليات التي تتم داخل النسق الاجتماعي يعمل من أجل إشباع حاجات الأفراد والمحافظة على بقاء النسق واستمرارية أي " وحدة " ترتبط أجزاء النسق ووظائفه

المحور الثاني - التكامل:

يؤكد الوظيفيون على أن التكامل يمثل النموذج المثالي للنسق الاجتماعي، إذ أنه إذا لم يحدث تكامل بين عناصر النسق وأجزائه يحدث خلل في أداء أعضاء النسق، وهنا تبرز فكرة متطلبات النسق في إعادة النسق إلى حالته الطبيعية وفقا لمعايير التكيف عن طريق الضبط الاجتماعي أو عمليات الإقناع وأساليب التربية الأخلاقية. وهذه الفكرة تجدها عند دوركايم وانتهاء إلى ميرتون في مصطلحات التضامن والتماسك الاجتماعي... الخ. ولهذا نجد مبالغة في تقديم أهمية القيم المشتركة خاصة عند بارسونز وميرتون في تحقيق التكامل الاجتماعي.

المحور الثالث - الصراع الاجتماعي:

يقوم التحليل الوظيفي على عدة أفكار تحاول إعطاء تبريرات في وجود تناقضات داخل الأنساق الاجتماعية مثل المعوق الوظيفي، وأنماط التكيف، الوظائف الكامنة والظاهرة، والبدائل الوظيفية، والتكامل النسبي، والأنماط المثالية، تحاول إظهار أن الصراع حالة استثنائية تعبر عن مرض اجتماعي، والتوازن والتكامل هما الحالة الطبيعية التي تمثل النموذج الأمثل للنظام.

المحور الرابع: المضمون الأيديولوجي:

هذا المحور فيمثل العلاقة بين الإطار التصوري للبنائية الوظيفية والإطار الأيديولوجي، أو المضمون السياسي أو التبرير السوسيولوجي لأصحاب هذا الاتجاه، في اتجاه محافظ يدافع عن النظام الرأسمالي بل ويبرز أهمية سيطرة الطبقة البورجوازية الغربية كطبقة قادرة على قيادة المجتمع وتحقيق تكامله ويقول جولدنر في هذا الإطار: " إن النظرية الوظيفية بتأكيداتها لقضية النظام إنما تمثل بذلك أيديولوجية تعبر عن المشاعر التي تتلائم مع استمرار الامتيازات ذلك أن النظرية الاجتماعية التي تتخذ من المحافظة على النظام الاجتماعي قضيتها الأساسية إنما تمثل دفاعا فكريا عن مصالح الذين يملكون ما يجب التخلي عنه وعلى المستوى العملي فإن " الأبطال الأكاديميين " الذين يتمسكون بقضية النظام هم أيضا الأكثر ارتباطا بالصفوات السياسية ولا يبخلون عليها بكل نصيحة من شأنها تدعيم الكبح.."

بعض المفاهيم الأساسية في التحليل البنائي الوظيفي:

- **النسق الاجتماعي (Social System):** يعتبر من المفاهيم المحورية الذي تقوم عليه الوظيفية، والنسق هو عبارة عن العلاقات المترابطة والمتساندة، فحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية

بعضها في بعض، فإنه يمكن القول أنها تُولف نسقا؛ ذلك الذي يتسم بالترابط، والتبئين والتحديد (إمكانية تحديد العناصر الداخلة والمكونة للنسق).

- **الوظيفة الاجتماعية (Social Function):** ويقصد بها الدور الذي يسهم به الجزء في الكل.
- **الوظائف الكامنة والوظائف الظاهرة:** الوظائف الظاهرة هي الأنشطة والممارسات التي تلعب أدوارا معروفة وتستهدف أهدافا واضحة وتخدم أغراضا اجتماعية جلية ومتصورة، في حين يشير مفهوم الوظيفة الكامنة أو الخفية إلى الأهداف التي قد تكون لا شعورية أو غير معروفة أو غير واضحة وغير مقصودة بالنسبة لأولئك الذين يمارسون نشاطا معينا.
- **البدائل الوظيفية Functional Alternatives:** يعني أن أي سمة أو عنصر ثقافي أو اجتماعي لا يعد ضرورة لا غنى عنها لمجرد وجوده، لأننا بذلك نتجاهل حقيقة هامة وهي أن نفس الحاجة الفيزيائية أو الفيزيولوجية أو الاجتماعية يمكن إشباعها من خلال عناصر ثقافية أو اجتماعية مختلفة وقابلة للتبادل.
- **المعوقات الوظيفية:** وقد جاء بها ميرتون ليشير إلى تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه.

ظلت حتى أواخر الستينات من القرن العشرين الوظيفية البنائية النظرية المهيمنة على ساحات علم الاجتماع وعرفت انتشارا كبيرا وهيمنة، والبنوية الوظيفية هي نظرية كبيرة تنطلق من المجتمع ولا تعطي أهمية للفرد ، ولكنها شهدت تراجعا ملحوظا في أهميتها منذ السبعينات من القرن العشرين بسبب ظهور نظريات أخرى.